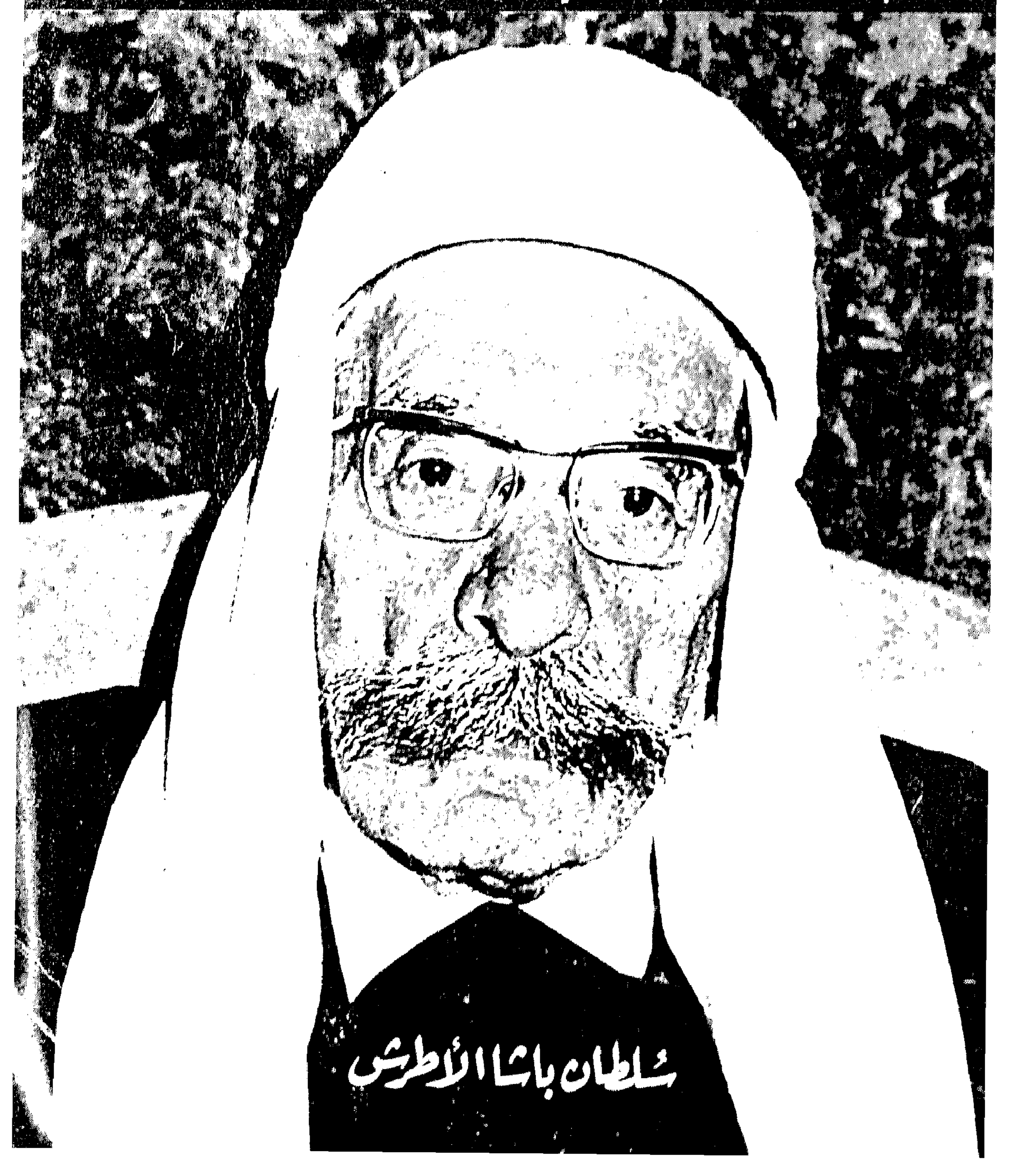
تاريخ العرب والعالم

مجلة شهرية مصورة تبحث في التاريخ العربي

السنة الرابعة • العدد الثالث والأربعون • أيار (مايو) • ١٩٨٢م • الموافق رجب ١٤٠٢هـ •



سلطان باشا الأطرش

تاريخ العرب والعالم

مجلة شهرية مصورة تبحث في التاريخ العربي



صدر العدد الأول في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٨
تصدر في منتصف كل شهر عن « دار النشر العربية »
صاحبها ورئيس تحريرها : فاروق البربير



الاشتراكات

- للأفراد في لبنان .... ٧٥ل.ل.
- للأفراد في الوطن العربي .... ١٠٠ل.ل.
- للأفراد في دول العالم الأخرى .... ١٥٠ل.ل.
- للمؤسسات والدوائر الحكومية في لبنان .... ٢٠٠ل.ل.

- للمؤسسات والدوائر الحكومية في الوطن العربي .... ٧٥ دولاراً
- للمؤسسات والدوائر الحكومية: خارج الوطن العربي .... ١٠٠ دولار أو ما يعادلها

جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير

بناية ابو هليل – شارع السادات – بيروت – لبنان – ص . ب . / ٥٩٠٥ / هاتف : ٨٠٠٧٨٣

تاريخ العرب والعالم

مجلة شهرية مصورة تعنى بتاريخ العرب

العدد ٤٣ ▪ أيار ١٩٨٢

تصدر عن دار النشر العربية في منتصف كل شهر

صاحبها ورئيس تحريرها : فاروق البربير

المستشار : د. أنيس صايغ   المدير المسؤول : محمد مشموشي

أمين التحرير : د. محمد أمين فرشوخ

قسم التوثيق والابحاث : شذا عدرة

قسم التوزيع والاشتراكات : علي عبدالساتر

المخرج الفني : سالم زين العابدين

الانتاج: مطبعة المتوسط: ش.م.ل.

التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات.

ثمن النسخة

لبنان : ٥ ل.ل.	تونس : ١ دينار
العراق : ٨٠٠ فلس	الكويت : ٧٠٠ فلس
السعودية : ٨ ريال	الامارات: ٨ درهم
الأردن : ٥٠٠ فلس	قطر : ٨ ريال
البحرين : ٨٠٠ فلس	عدن : ٨ شلفات
مسقط : ٨٠٠ بيزة	المغرب : ٦ درهم
فرنسا : ١٠ فرنكات	بريطانيا : جنيه استرليني
سوريا : ٦ ل.س.	اميركا : ٣ دولارات

الاشتراكات

(بما فيها أجور البريد الجوي)

- في لبنان: للأفراد ٧٥ ل.ل.
- للمؤسسات والدوائر الحكومية ٢٠٠ ل.ل.
- في الوطن العربي: للأفراد ١٠٠ ل.ل.
- للمؤسسات والدوائر الحكومية ٧٥ دولاراً
- خارج الوطن العربي: للأفراد ٤٠ دولاراً
- للمؤسسات والدوائر الحكومية ١٠٠ دولار
- تدفع قيمة الإشتراك مقدماً نقداً أو حوالة مصرفية

ص.ب: ٥٩٠٥ ـ بيروت، لبنان ● بناية أبو هليل
شقة ١١ ● شارع السادات ـ تلفون: ٨٠٠٧٨٣

HISTORY OF THE ARABS AND THE WORLD

EDITED BY FARUK BARBIR
PERIODICAL ILLUSTRATED
MAGAZINE PUBLISHED FROM SADATE ST.
ABOU HILEIL BLG. P.O.B. 5905 TEL. 800783
BEIRUT , LEBANON

Vol. 4 No. 43. MAY 1982

ANNUAL SUBSCRIPTION : $100 (INCLUDING $25 FOR ADDITIONAL AIR MAIL CHARGES)
MAIL ALL COMMUNICATIONS, INCLUDING SUBSCRIPTIONS TO:
«HISTORY OF THE ARABS AND THE WORLD»

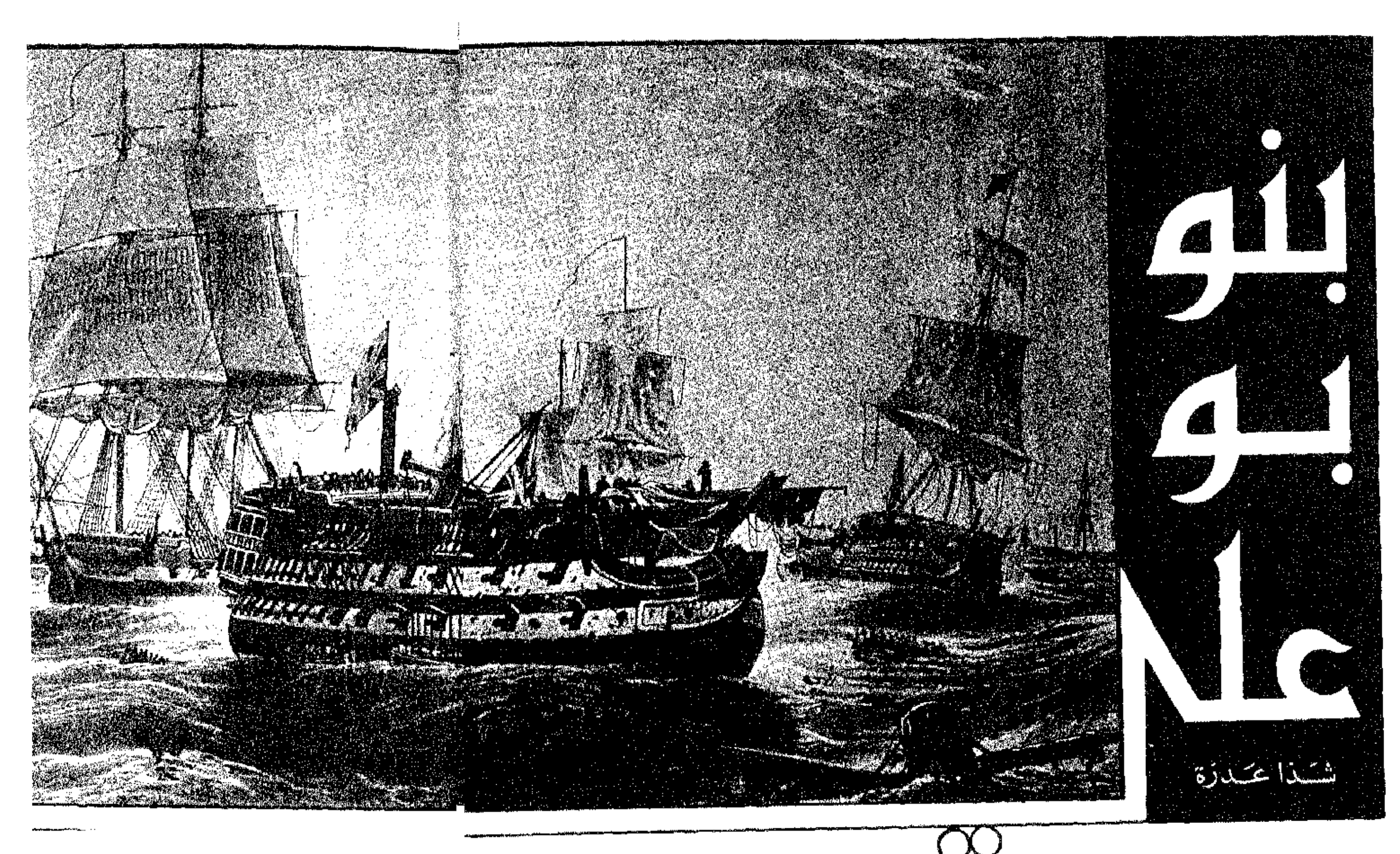
في هذا العدد

▪ المقالات الواردة توزّع حسب التبويب الفني للمجلة. ولا علاقة لذلك بمكانة الكاتب. مع حفظ المكانة الإجتماعية للكتاب، تراعى في الالقاب الصفات العلمية فقط ▪



بنو بو علي

شذا عدرة



يكاد لا يخلو تاريخ شعب من الشعوب من مأثر تخلده وتحفظ له ذكراً طيباً يصبح مع الزمن بمثابة حافز يدفع صاحبه لبذل أقصى الجهد في سبيل تحقيق الأفضل لما فيه خير أبناء شعبه وأمته.

وما يتطلبه منّا واقعنا الحاضر، هو أن نتحرى حقيقة تلك المآثر وننفذ الى لبّها فنكتسب صفاتها ونحرز فضائلها ونتخذها نقطة انطلاق نحو الحياة الصحيحة الفاعلة التي تطمح دوماً نحو الأفضل.

وهذا ما نحاول القيام به من خلال استقصاء حقيقة مآثر شعب من شعوب أمتنا أغفلناه حتى كدنا لا نعلم عنه شيئاً، شعب «بني بو علي».

■ شذا عدرة
ماجستير في التاريخ ــ باحثة، نشرت لها مقالات ودراسات موضوعة ومترجمة في عدد من الدوريات العربية.

«بنو بوعلي قبيلة ذات أهمية كبيرة، بعض أفرادها بدو وبعضها حضر. ويسكن البدو منهم منطقة جعلان الشرقية ويمتلكون قطعاناً من الابل والماعز، كما يقومون بتربية الخيل. ويشتغل الحضر بزراعة النخيل والحبوب في بلاد واحة بني بوعلي، يسكن بنو بوعلي أيضاً في صور ورأس الرويس أي على الساحل الجنوبي الشرقي لعمان حيث يعمل هؤلاء بالملاحة وصيد الأسماك، وقد اعتنقوا المذهب الوهابي وتعصبوا له كثيراً وهم ذو شجاعة ومروءة ويمتازون بحدّة النظر».

«الموطن الرئيسي لبني بوعلي هو الغافري في منطقة جعلان بسلطنة عمان، وتقع على بعد ٤٠ ميلاً جنوب غربي صور وعلى بعد سبعة أميال جنوب شرقي هناوي عاصمة بلاد بني بوحسن، ويتكون السكان كلهم من قبيلة بني بوعلي.

وقد أصبح بنو بوعلي وهابيين منذ قدوم النجديين لعمان منذ قرن تقريباً، وظلوا كذلك حتى أواخر عام ١٨٤٥م، بل كانوا متعصبين للمبادىء الوهابية. ولكنهم بعد قليل خفّ عندهم هذا التعصب، واستأنفوا تدخين الطباق بعد أن حرّموه على أنفسهم. ومع ذلك فقد ظلوا محافظين على المبادىء الأخرى كالصلاة في أوقاتها، وقد قيل أنهم رغم حالتهم هذه الاّ أنهم ظلّوا أكثر قبائل أهل عمان تديناً. وهم ينتمون الى جماعة الوهابيين ويعرفون بالأزرقة».

نستخلص من هذين القولين لكل من «عائشة السيار» و«ج. ج. لوريمر» (J.J. Lorimer)، بأن تلك الجماعة العربية كانت تستوطن منطقة واسعة من اقليم جعلان، عرفت الاستقرار من خلال حياة الحضر التي عاشها أبناؤها فاشتغلوا بالزراعة وخاصة زراعة النخيل الذي امتلكوا منه أجود الأصناف وأحسنها وعلى امتداد مساحات شاسعة بالاضافة الى أنهم عرفوا البحر وحذقوا لغته. وهم أبناء صور ثاني مدينة بحرية في عمان وهي الموطن المستقر السكان. وكانت الاشخرة بمثابة عاصمة لبلادهم.

عرف بنو بوعلي الاستقلال منذ نعومة أظفارهم، وقد وصفهم المؤرخ الانجليزي أرنولد ويلسون في كتابه «الخليج الفارسي» (Persian Gulf) بالاستقلالية اذ يقول: «في سنة ١٨٢٠، اتهمت قبيلة بني بوعلي المستقلة، وشبه المحاربة بالتورط...» وهذا يعني أن بني بوعلي قد عرفوا الاستقلال منذ زمن طويل حتى أصبح صفة ملتصقة بهم، وبُعد بلادهم عن المراكز الرئيسية في الخليج العربي كان له دور مهم في ذلك. لذا نجدهم قد تعوّدوه ولم يعودوا يطيقون الخضوع لأية سلطة أجنبية. وهم تمتعوا باستقلالهم حتى في ظل حكم سلطان عمان الذي كان يمثله شكلياً والي ذلك المكان ومعه حامية عسكرية في مدينة صور. ولكن يبدو أنه عندما اتضحت معالم التبعية الفعلية لأحد حكام عمان وهو السلطان سعيد للغرباء الانجليز، وذلك لأنه لم يكن متمكناً من الأحوال الداخلية في سلطته

عند توليه السلطة في تموز سنة ١٨٠٦ م، فاتبع خطة تقوم على مبدأ الاحتماء باحدى الدول الأوروبية التي لها ممتلكات في المحيط الهندي، فاتجه أولاً الى الفرنسيين في موريشس ولكنه عاد فتحول الى الانجليز في بومباي. فازاء هذا الوضع الجديد، رفض أولئك القوم الخضوع لإرادة تلك القوة الأجنبية ولو بطريقة غير مباشرة فحملوا لواء التمرد والعصيان على السيد سعيد وبدأوا يشنون ضده وضد أعوانه الانجليز غارات بحرية وبرية معاً. وقد اتسمت هذه الغارات بالضراوة والشراسة بسبب تحمس بنو بوعلي لمذهبهم الوهابي الذي كان يدعو الى محاربة الأعداء في كل مكان، كما أنه أضفى طابع الجهاد المقدس على كل عمل حربي يشنّ ضدهم.

اتبع بنو بوعلي في محاربة أعدائهم الانجليز والعمانيين ما ألفوه من وسائل تقليدية شرعية لديهم ولدى غيرهم ممن جابوا بحارهم، كالتعرض لسفن خصومهم والسطو على بضائعهم. وهذا ما قام به رجال بني بوعلي عندما أسروا سفينة عند رأس الحد تابعة لأحد التجار الهنود من الذين كانوا يتاجرون تحت حماية شركة الهند الشرقية وكانت تحمل سلعاً من الأرز والتوابل والحديد قاصدة منطقة جعلان. وكأنهم بذلك قد أصابوا عصفورين بحجر واحد، فالسفينة هي انجليزية، والبضاعة هي لإمام عمان، وكلاهما يعتبرهما بنو بوعلي في حالة حرب معهم.

تداول أحد القواد الانجليز المدعو كابتن بروس هذا الأمر مع السيد سعيد الذي أضاف وأكّد على ان بني بوعلي متورطون فعلاً في أعمال القرصنة(*)، وأنهم قد استولوا على ثلاثة مراكب تابعة لمسقط، لكن لم يشأ الانجليز في بداية الأمر التورط في أمر يجهلون عواقبه نتيجة جهلهم لواقع أمور قوم كبني بو علي وانطلاقاً من مبدأ زعموه وهو عدم التدخل في الشؤون


السيد سعيد
بن سلطان

الداخلية للولايات العربية، لذا رفضوا في البدء الاشتراك مع السيد سعيد في الاعداد لحملة ضدهم واكتفوا بأن أرسل مسؤولهم الأول في تلك المنطقة الكابتن طومبسون رسالة الى زعماء بني بوعلي الثلاثة سليم بن علي — محمد بن علي وعلي بن أحمد يعلمهم فيها امتعاض حكومته من تصرفهم ويطلب منهم اعادة المراكب والغنائم التي استولوا عليها وأن يرسلوا مندوباً عنهم ليجتمع به في قشم مركزه الرئيسي.

حمل مرشد عربي من مسقط تلك الرسالة وحاول ابلاغها لبني بوعلي، وكان الانجليز قد استعانوا به ليرشدهم على موقع الأشخرة — وليكون الوسيط بينهم وبين تلك القبيلة العربية. ولكنه لقي مصرعه على يد فرسانها الذين اعتبروه متواطئاً مع الأعداء متحالفاً معهم فلم يرحموه.

على أثر هذه البعثة الفاشلة، أعطت حكومة بومباي أوامرها للكابتن طومبسون للاشتراك فعلياً مع السيد سعيد مع الإعداد لحملة ضد بني بوعلي وكسر شوكتهم، ولكن مع كثير من التحفظ في ابقاء جنود الكتيبة الانجليزية على الشاطىء دون التوغل الى داخل البلاد.

استغرق الاعداد لتلك الحملة المشتركة حتى وصولها الى المنطقة المنشودة — منطقة

(*) كان الانجليز قد نجحوا في حمل مؤتمر فيينا الذي عقد في التاسع من حزيران عام ١٨١٥، على اتخاذ قرار بمكافحة القرصنة في مختلف بحار العالم لتضمن بذلك مكافحتها في الخليج العربي، وانتدبت نفسها لتكون حامية حمى التجارة الدولية في تلك المنطقة.

ومما يجدر التنويه به هو ان مؤتمر فيينا، قد أفسح المجال أمام بريطانيا لكي تمارس مهمة بوليس البحار، المهمة التى طالما ابتغتها لكى تحقق من ورائها السيادة والهيمنة على بقية الدول الاوروبية.

جعلان
1: 500,000
N
59°E
صور
راس الحد
وادي فلج
جبل خميس
بلد بني بو حسن
بلد بني بو علي
وادي البطحاء
22°N
الأشخرة



الكابتن
بيرونيت
طومبسون

جعلان ــ مدة طويلة ناهزت الشهر أو أكثر، والسبب في ذلك يعود الى شدة حرص الفريقين الانجليزي والعماني على تجهيزها تجهيزاً كاملاً عدّة وعدداً. وبعد أن تمركزت الحملة في المواقع المحددة لها، ارتأى كل من السيد سعيد والقائد طومبسون اصدار بلاغ يوجهانه الى زعيم بني بوعلي يدعوانه فيه الى تسليم مواقعه وأسلحته وقتلة المبعوث الانجليزي.

جاء رد الشيخ في الليلة ذاتها، وقد وافق على تسليم الحصون الى السيد سعيد، «لأنه لا يرغب أن يكون في حرب مع الانجليز» الّا انه لم يوافق على تسليم القتلة أو الأسلحة، لأنه كان على يقين بأن سعيداً سيسلمهم كسجناء الى الانجليز. بالاضافة الى أن سلاح العربي في شبه جزيرة العرب عامة، وفي منطقة الخليج خاصة، يشكل عنصراً هاماً من عناصر شخصيته وهو عادة يكون سلاحاً أبيض، سيفاً أو خنجراً.

امتلأ صدر طومبسون بالحقد والكراهية على بني بوعلي، فحث السيد سعيد على المضي في استعداداته الحربية ضدهم غير مدرك لأهميتهم أو واعياً لمدى قدرتهم العسكرية. بل جلّ ما هنالك بأن غروره الانجليزي الواهي قد أعماه عن ادراك ذلك. فحاول استناد الى «مويس بارتليت» (Moyse Bartlett) أحد البحاثة الانجليز أن يبرهن ذاتيته من خلال فرض استسلام كلي على بني بوعلي فوقع في خطأ كبير جرّه فيما بعد الى ارتكاب سلسلة من الأخطاء، قادته جميعاً الى المثول أمام محكمة عسكرية في بومباي ليدافع أمامها عن نفسه، ولكن دون جدوى اذ جرّدته من جميع صلاحياته التي كانت تخوله التدخل في شؤون الخليج.

توجهت الحملة الانجليزية العمانية في ٩ تشرين الثاني سنة ١٨٢٠ باعداد كبيرة الى احياء بني بو علي على خمسين ميلاً من مدينة صور والتحمت مع فوارسهم في حرب برية انتهت بانتصار بني بو علي وبانزال هزيمة بالجنود العمانيين والانجليز الذين لاذ قسم كبير منهم بالفرار بعد أن شاهدوا بأم أعينهم المصير الأسود الذي لقيه كثير من أخوانهم.

لهذا لم يجد طومبسون قائد الحملة الانجليزية بدّاً من التراجع وجمع أشتات جيشه المنهزم الذي ملأت أشلاء أكثر من ثلثي جنده أحياء بلدة بني بوعلي والانسحاب به الى مكان آمن، خاصة بعد ان تخلى عنه اثنان من قواده ــ القائد موريل والقائد جيدلي ــ حيث تركاه عائدين الى صور مع ما تبقى من كتيبتهما. هذا مع العلم، أن القانون العسكري الانجليزي متشدد وصارم في عقابه حيال تلك الأمور وقد

استدعي كل من مورلي وجيدلي فيما بعد الى بومباي، بناء على شكوى قدمها القائد طومبسون الى حكومة بومباي.

والجدير بالذكر ان بني بوعلي هم القبيلة الوحيدة في سلطنة عمان التي خاضت حرباً برية على أرضها ضد قوة بريطانية. وهذا ان دلّ على شيء فانما يدل على ان هؤلاء القوم لم يدّخروا وسيلة الّا واتبعوها في محاربة أعدائهم واستبسلوا من أجل الحفاظ على أرضهم واستقلالهم واعلاء شأن مبدأ آمنوا به.

ويستطيع كل من يطّلع على رسائل طومبسون الى زوجته نانسي، ان يستخلص الكثير من عبر تلك المعركة وأن تصبح لديه فكرة واضحة عن الحالة المزرية التي وصل اليها الجيش الانجليزي والعماني حتى ان طومبسون والسيد سعيد على استناداً الى المؤرخ الانكليزي «ج.ج لوريمر» (J.J. Lorimer) كانا محظوظين اذ استطاعا النجاة بنفسيهما. والرسائل لم تكن عادية، بل أشبه بالوثائق لما احتوته من وصف دقيق لأحوال الفريقين أبان المعركة، ولما حملته من لواعج نفسه التي اعتراها الكثير من الألم والمرارة نتيجة تخاذل قواده وجنوده.

١٠ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٢٠

«عزيزتي نانسي

واجهت هذه الحملة أشد المحن صعوبة... فعندما سمعت أول طلقة أطلقها جنود الكشافة تعلمنا بتحرك العرب، أعطيت أوامري للسبّاهيين (الهنود المجندين في الجيش الانجليزي) بامتشاق الحراب، ولكن لم يتحرك أحد منهم. عندئذ أمرتهم باطلاق النار فأخذوا يطلقونها بطريقة عشوائية في حين أن العرب كانوا يتقدمون بسرعة ملوحين بسيوفهم.

ظل السبّاهيون واقفين في أماكنهم حتى أصبح العرب على مقربة خمسة عشر ياردة منهم، حينئذ لاذوا بالفرار. وقد حاولت تدارك الأمر وايقاف الفارين ولكن دون جدوى. توجهت الى الإمام فوجدته جريحاً الناس تتراكض هاربة كالخراف، وقد رأيت بينهم بعض الأوروبيين من رجال المدفعية، فسعيت اليهم لاثنيهم عن ذلك ولكنهم كانوا من القلة بحيث أنهم لم يستطيعوا تأدية أي عمل.

ازاء هذا الوضع، رأيت كل شيء يضيع من أمامي... فخرجت وستون من رجالي في محاولة للقيام بأي عمل ذي فائدة، تقدمت نحو ميل من الغاب فرأيت قوات العدو تتقدم لتحيط بجناحي قواتنا لتقطع بذلك علينا طريق المدينة، لقد لقيت صعوبة بالغة في العودة. اني خائف من أن يكون كثيرون قد فقدوا.. والإمام يتحدث الآن عن العودة الى قشم ومنها الى مسقط في حال احتلت مسالك نجد... لقد وعد بتزويدنا بالجمال لحمل مرضانا والسبّاهيين. والحقيقة هي ان هؤلاء السبّاهيين المتغطرسين ليسوا أهلاً لمجابهة السيوف العربية. ولكن ما علينا الا أن نحاول.

أسألك أن تحافظي على هدوء نفسك وأن تثقي بالعناية الالهية التي تحيط بنا جميعاً...

المخلص لك دائماً

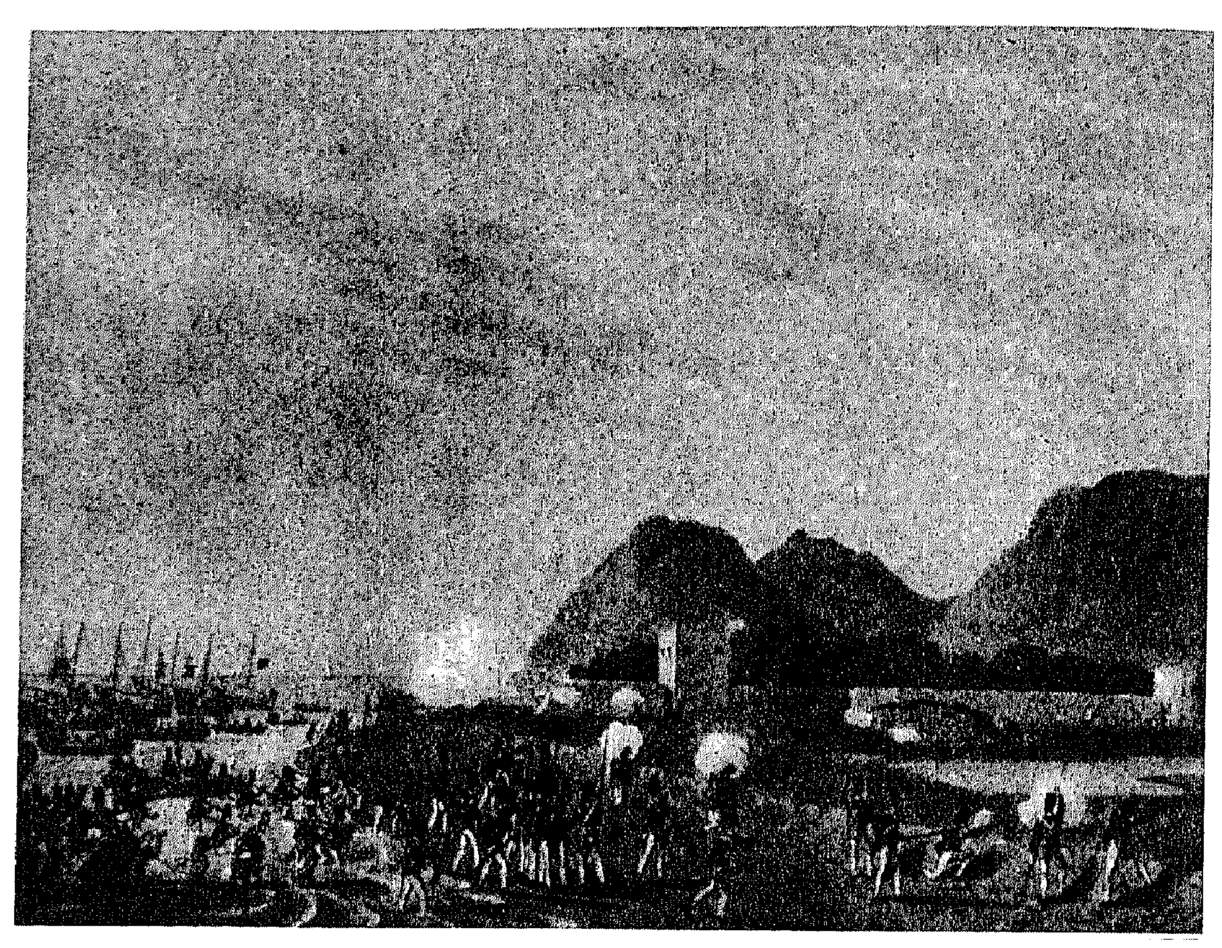
ت.ب. طومبسون»

وقد كتب طومبسون مرة أخرى الى زوجته بعد حوالي أسبوع من بدء المعركة، يطلب منها ان ترسل له سترته الزرقاء وآلة الحلاقة وقطعة من الصابون، وعاد الى ذكر أولئك الجنود السبّاهيين بكثير من الامتعاض والاشمئزاز حيث قال «أولئك الذين ولّوا هاربين قبل أن يصابوا بأي أذى وعلى بعد عشرين ياردة فقط من العدو»، كما أتى ذكر كل من القائدين مورلي وجيدلي، اذ تساءل بأي وجه سيلقيانه؟

وأخيراً ختم رسالته بحكمة يائسة استخلصها من احساس عميق باليأس والاستسلام:

«نحن نلعب اللعبة، لكن السماء هي التي توزع الأدوار»، ان هذا القول الأخير، انما يدل على الوضع اليائس الذي وصل اليه طومبسون، فالغطرسة عنده أصبحت ذلّاً، والغرور أصبح استسلاماً.

نلاحظ أول ما نلاحظ من خلال هذه الرسائل، أن المدة التي كتبت فيها كانت متقاربة جداً، مما يعني أن الأحداث كانت تتسارع جداً ولغير صالح الانجليز، الأمر الذي كان يشحن



القوات الانجليزية تتوغل في اراضي بنو بو علي العربية.

نفس طومبسون بالانفعالات الكئيبة والمؤلمة معاً، فتدفع به الى الكتابة وبشكل مستفيض ليفجّر من خلالها ما يعتمر في نفسه من آلام.

فالرسالة الأولى أرّخت في العاشر من شهر تشرين الثاني (نوفمبر)، والحملة كانت قد وصلت في التاسع منه، مما يدل على ان معظم أحداث المعركة الرئيسية قد وقع خلال يوم واحد. فالهنود المجندون في الجيش الانجليزي ولّوا هاربين قبل أن يشتركوا فعلياً في المعركة ـ قائدان انجليزيان عادا أدراجهما الى صور مع ما تبقى من كتيبتهما ـ هذا عدا عن الذين لاقوا حتفهم في أرض المعركة.

تدل هذه الأمور على الروح المعنوية المتدنية التي كانت تسود أفراد الجيش الانجليزي وهذا أمر طبيعي، اذ قدِموا أرضاً يجهلون طبيعتها وقوماً لم يسمعوا الا عن قوتهم وشدة بأسهم، بالاضافة على أنه لم تكن لديهم تلك القضية النبيلة التي تستلزم تقديم أرواحهم من أجلها، خاصة وأنهم هم الهنود الأغراب عن قوادهم الانجليز وبذلك لا ناقة لهم ولا جمل من وراء تلك العملية.

ونجد هؤلاء على طرفي نقيض مع فوارس بني بوعلي الذين كانوا يتمتعون بروح معنوية عالية تبيّناها من خلال ما قاله طومبسون عنهم بأنهم منذ بداية المعركة كانوا يتقدمون وهم شاهرين سيوفهم في وجه أعدائهم، وهذا يدلّ أيضاً على مدى شجاعتهم التي أكد عليها أيضاً القائد الانجليزي من خلال قوله: «الحقيقة هي بأن أولئك السبّاهيين المتغطرسين ليسوا أهلاً لمجابهة سيوف العرب».

وأما الأمر الأساسي الذي يبدو أنه ساعد عرب بني بوعلي على احراز ذلك النصر الباهر فهو قضية سيادتهم على أرضهم التي ائتمنوا عليها السيد سعيد، فلم يحفظ الأمانة بسبب خضوعه للسيادة الانجليزية، يأتمر بأمرها ويحافظ على ودّها، وبالتالي يحفظ مصالحه معها.


أحد الجنود الانجليز بكامل سلاحه.

فهو كان يفكر بعقلية التاجر وليس بعقلية السلطان لأنه حسب قوله: «اني تاجر قبل أن أكون سلطاناً».

الى جانب ذلك فان بني بوعلي كانوا قد انتقوا المذهب الوهابي وتعصبوا له، هذا المذهب الذي أضفى «صفة الجهاد» على كل عمل ينفذ ضد الأعداء.

أما الرسالة الأخرى فقد أرّخت في السادس عشر من شهر تشرين الثاني (نوفمبر) أي بعد أسبوع من بدء المعركة، حيث أظهرت لنا انتهاءها ومدى الآلام النفسية التي كان طومبسون يعانيها، فقد كانت أعمق من أن يداويها الزمن الذي غدر به ووجّه اليه صفعات أليمة ترجمها بقوله فيما بعد، وعند أول لقاء له مع زوجته في مسقط. «لقد قطعوا رأسي تقريباً».

هذه الكلمات التي أدخلت الهلع والفزع الى قلب طفله صاحب الخمس سنوات آنذاك، والذي أدرك بأن خطراً عظيماً يحدق بوالده. وقد صحّ ادراكه اذ عزلت فيما بعد، حكومة بومباي الكابتن طومبسون من منصبه، بعد أن وجهت اليه:

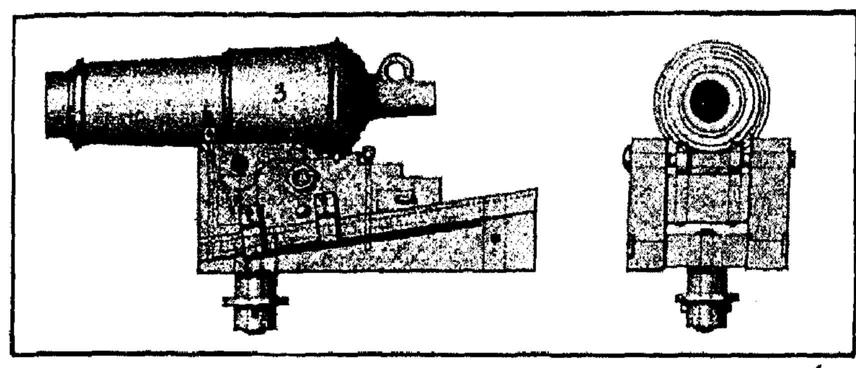
ـ تهمة الاشتراك في حرب برية ضد بني بوعلي وداخل أراضيهم، وهذا ما اعتبرته يتعارض وتعليمات القائد الأعلى الجنرال ويليام غرانت كير، وبالتالي قد عرّض سلامة القوات الانجليزية للخطر.

ـ وتهمة الخروج عن سياسة الحكومة البريطانية التي كانت تنص على عدم التدخل في شؤون الولايات العربية، قد فعل ذلك من أجل ارضاء إمام عمان الذي كان قد وعده بالمساعدة العسكرية ضد بني بوعلي.

ـ وتهمة فشل سياسته في الخليج التي لا تتلاءم على حد قولهم وسياسة بريطانيا ازاء محاربة القرصنة في الخليج العربي.

لذا، ازاء فشله العسكري والسياسي، وازاء تعريض سمعة القوات الانجليزية للخطر وتوريطها في معارك فاشلة، أخضعه حاكم بومباي لمحاكمة عسكرية جرّدته من جميع صلاحياته التي لها صلة بشؤون الخليج العربي.

وهكذا انتهت علاقة طومبسون بالخليج العربي، ولكن لا يعني هذا انتهاء علاقة الانجليز بأبناء الخليج. اذ شعرت بريطانيا باهانة عظمى من جرّاء انتصار بني بوعلي على جيشها ووجدت أنه من الضروري استعادة هيبتها وردّ الصاع صاعين لتلك القبيلة العربية. لذلك جدّدت ارسال حملة كبيرة الى صور غاضّة بذلك الطرف تماماً عن زعمها القائل بعدم التدخل في الشؤون الداخلية العربية. ولكن ذلك الوضع المستجد كشف النقاب تماماً عن حقيقة بريطانيا وساستها، وهي أنهم أصحاب مصالح وليسوا أصحاب مبادىء. ومما يؤكد هذه الحقيقة، هو موقفها من مسألة واحات البريمي الواقعة شمال غرب سلطنة عمان، اذ كانت مسألة مشابهة لقضية بني بوعلي من حيث أنها محاولة أخرى لخروج جزء من البلاد العمانية عن سلطة الإمام سعيد الذي وجّه في تشرين الأول (أكتوبر) سنة ١٨٢٣، خطاباً الى حكومة بومباي يستنجد بحلفائه الانجليز، ولكن بما ان هذه المسألة لا تتصل بمصالح بريطانيا فقد غضّت الطرف عن رعاية مصلحة حليفها السيد سعيد.



مدفع متحرك يؤكد في تقنيته المتطورة عدم التكافؤ بين السلاحين الانكليزي والعربي

وهكذا يتضح لنا وضوحاً تاماً، أن الانجليز هم أصحاب مصالح وليسوا أصحاب مبادىء. وانطلاقاً من هذا المفهوم شرع الانجليز في الاعداد لحملتهم المقبلة على بني بوعلي.

وقع اختيار حكومة بومباي على الجنرال ليونيل سميث صاحب الخبرة القتالية الطويلة في ميادين معارك الخليج، كمشاركته في حملة ١٨٠٩ الانجليزية ضد القواسم في رأس الخيمة، وكإشرافه على سقوط قاعدة موريشس الفرنسية سنة ١٨١٠. وغير ذلك من الحملات. أختير لقيادة حملة ضد بني بوعلي، كانت هائلة العدد والعُدة بمقاييس ذلك الزمن.

تألفت تلك الحملة من حوالي ١٣٠٠ جندي بريطاني من مدفعية بومباي والفرقة ٦٥ التابعة لصاحب الجلالة، والفرقة الأوروبية في الهند، بالاضافة الى أكثر من ١٥٠٠ جندي هندي.

انتقل هؤلاء جميعاً من بومباي في العاشر من شهر كانون الثاني (يناير) سنة ١٨٢١م. ضمن قوافل بحرية تصحبهم أيضاً قافلة من احدى عشرة سفينة تحمل أعداداً كبيرة من الأحصنة.

وصلت هذه الحملة في نهاية ذلك الشهر الى صور، وتناهى الى سمع بني بوعلي أمر وصولها ولم يخف عليهم غايتها وهدفها، فجمعوا لها أشد رجالهم بأساً وتركوا حصنهم في الثامن من شهر شباط (فبراير) بقيادة زعيمهم الشيخ محمد بن علي وأخيه كاظم الذي ترأس الحملة السابقة ضد طمبسون وجنده، وتوجهوا جميعاً الى حيث نزلت الحملة.

وفي ليل العاشر من ذلك الشهر، باغت أولئك الفوارس فيالق الحملة فقتلوا منهم الكثير وقضوا على بعض قوادهم المهمين كالكابتن شارلز بار، كما أصيب عدد آخر بجروح، بعض منها كان خطراً.

أما خسائر الجانب العربي فلم تتناول الا القليل من القتلى والجرحى، ولكن كان من بين الجرحى الشيخ محمد الذي أصيب برصاصة في ذراعه.

كان ذلك الهجوم الليلي الصاعق تكملة لاندحار الانجليز ودرساً صعباً لقوتهم ولقائدهم سميث الذي ابتدأ بعد ذلك يتخذ تدابير وقائية مشددة ضد أي احتمال لهجوم مفاجىء.. وأخذ يعد العدة لشن هجوم معاكس على بلدة بني بوعلي.

وفي صباح الثاني من آذار (مارس) عام ١٨٢١، استأنف سميث زحفه نحو مقر البلدة حيث دارت معركة رهيبة في نفس مكان المعركة السابقة أسفرت عن مجزرة بربرية ارتكبها الجنود الأوروبيون بحق قبيلة بني بوعلي، اذ عمدوا الى التخريب والتقتيل دون تمييز ولم ينج منهم الا من فرّ. أما السيد سعيد فلم يشترك شخصياً في هذه الحملة بسبب جرحه البليغ من المعركة الأولى. غير أنه أمدّ الحملة ببعض المدافع الثقيلة بناء على طلب تلقاه من سميث. لهذا أورثت هذه الحملة قوم بني بوعلي بغضاً شديداً للانجليز عبّروا عنه فيما بعد بالتقارب من الفرنسيين.

استبسل بني بوعلي استبسالاً عظيماً وأظهروا من ضروب الشجاعة ما أذهل أعداءهم وجعلهم يبالغون في وصفهم ووصف سيوفهم القاطعة التي لاترتد خائبة، وهذا ويلستد الرحالة الانجليزي يصف سيوفهم بقوله: «يبلغ طول سيفهم ثلاثة أقدام، مستقيم، رفيع، ذو حدين وقاطع كموسى الحلاقة».

تقدم عند انتهاء المعركة بعض الضباط الانجليز من رجال بني بوعلي لنزع سلاحهم،

فما كان من زعيمهم محمد بن علي الاّ ان تقدم قومه ليسلم سيفه بينما كان شقيقه كاظم يرقد جانباً جريحاً يعاني من آلام مبرحة.

ومما يجدر ذكره أن نساء بني بوعلي لم يظهرن أي نوع من الأسى أو الحزن، وكذلك رجالهم الذين اعتبروا أن هذه هي مشيئة الله فتقبلوها بكل رضى واطمئنان، وتوجهوا عند المغيب لتأدية صلاتهم كالمعتاد بكل تواضع وخشوع غير حافلين بكل الخراب المحيط بهم.

ان ما قام به بنو بوعلي من أعمال حربية وغير حربية، انما كانت انطلاقاً من ايمانهم الراسخ بعدالة قضيتهم، قضية بلدهم ووجوب استقلاله عن النفوذ الأجنبي الغريب والذي لم يأبه له السيد سعيد قليلاً أو كثيراً. هذا الايمان الذي توافق أيضاً مع ايمانهم الديني القومي والذي كان يدعوهم الى الجهاد ضد الأعداء.

فهم عندما ذاقوا طعم الهزيمة ظلّوا منتصرين معنوياً، الأمر الذي أدركه الانجليز وأعوانهم العمانيون، فأخاف الأولين، لذا عملوا على تدمير الأشخرة وبلد بني بوعلي تدميراً كاملاً، مع تدمير جميع قلاعهم ومخازن اسلحتهم واسترداد جميع مدافع طومبسون التي كانوا قد استولوا عليها.

وأيقظ الآخرين على حقيقة واقع بني بوعلي وقوتهم التي يستطيعون استردادها كاملة عدة وعدداً خلال مدة قصيرة طالما أن معنوياتهم لازالت مرتفعة جداً بالرغم من كل الأضرار التي لحقت بهم، لذلك عمدوا الى تفريقهم وتشتيت شملهم عن طريق رفض السيد سعيد استقبال رجالهم ما عدا الجرحى الشديدي الاصابة والشيوخ والأطفال، وحثّه للجنرال سميث على حمل ما تبقى منهم عبر البحار. وقد نزل هذا الأخير عند رغبة الإمام وأرسلهم الى بومباي.

يتبين لنا من خلال هذا التتبع الكامل لسير معركة ٢ آذار (مارس) من عام ١٨٢١، أن قوم بني بوعلي عملوا على استرداد حقهم في الاستقلال عن دولة ربطت مصالحها بمصالح دولة غريبة عنهم في العرق واللغة، وبعيدة عنهم في الموقع والزمن.

وقد ارتدت أعمالهم في سبيل ذلك طابعاً حربياً ضد تلك الدولة وحليفتها الأجنبية. ولم يكن ذلك الطابع الحربي طابعاً قرصنياً كما شاء البعض تسميته، لأن جميع تلك الأعمال الحربية، انما كانت تتم تحت شعار الجهاد المقدس ضد العدو والذي كان قد رفعه أصحاب المذهب الوهابي وقد اعتنقه بنو بوعلي أكثر أهل عمان تديناً وتعصبوا له وتشدّدوا في تطبيق قوانينه كتحريم تدخين الطباق على أنفسهم وتأدية الصلاة في أوقاتها، فقوم كهؤلاء يحرصون هذا الحرص على تطبيق تلك الأمور لا بدّ وأنهم قد حرصوا أشد الحرص على تطبيق الأمر الأساسي وهو تأدية الخمس من الغنائم التي يحصلون عليها الى رئيس الدولة، لأنه حسب المفهوم الوهابي، كانت تلك الغنائم تعد غنائم حرب وليست أسلاباً، لذا وجب تأدية خمسها الى الحاكم الشرعي، وذلك حسب ما تقضي به الشريعة الإسلامية في أحوال الجهاد. وأما حسب ما يقضي به المفهوم العام للحروب الرسمية، الذي يقول أنه تم الاستيلاء على السفن لحساب دولة فذلك يكون من امور الحرب المتعارف عليها وبما ان الدولة السعودية كانت تشارك بنسبة عالية من الأرباح والغنائم التي كان يجنيها بنو بوعلي من حروبهم البحرية ضد الأعداء، فمن الممكن اعتبار تلك العمليات الحربية البحرية من أمور الحرب المتعارف عليها دولياً، أي من الحروب الرسمية.

وتجدر الاشارة ان شعب بني بوعلي، بما تمتعوا به من استقرار في الموطن واستقلال في السيادة حتى وهم في ظل شبه حماية من دولة عربية أخرى، وحرصهم على ابقاء سيادتهم بعيداً عن النفوذ الأجنبي الغربي، بالامكان اعتبارهم أنهم كانوا نواة صالحة وجيدة لتكوين دولة صغيرة قوية لها سطوتها وهيبتها التي تستطيع أن تفرضها على كل الدول العدوة منها قبل الصديقة. ■

عن رسالة للماجستير في التاريخ، نوقشت في كلية الآداب / الجامعة اللبنانية / سنة ١٩٨١.